

ثورة الشيخ عز الدين القسام

عادل حسن غنيم

كانت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال العشرينات تعتقد أن الصهيونية وليس الاستعمار هي العدو الاول الذي ينبغي على الشعب العربي في فلسطين مواجهته ، وأنه ينبغي التخلص منها اولا حتى يمكن التفاهم مع الانتداب ، وظلت قيادة الحركة الوطنية في فلسطين طوال تلك السنوات تأمل خيرا في بريطانيا ، وتتوقع منها في نهاية الامر ان تستجيب لمطالب البلاد وتتخلى عن سياستها التهودية ، غير مدركة لحقيقة العلاقة التي تربط الاستعمار بالصهيونية .

وتحدث تغييرات هامة خلال سنوات النصف الاول من الثلاثينات ، لكن تلك التغييرات لم تكن تغييرات في الاهداف السياسية للحركة الوطنية ، بل كانت تغيرات في اساليب الحركة الوطنية ووسائلها ، فمع تدفق اعداد المهاجرين الصهيونيين الى فلسطين في تلك السنوات ، ومع زيادة امتلاك الصهيونية للأراضي الزراعية ، ومع ازدياد نضج عرب فلسطين سياسيا وادراكهم لحقيقة الاستعمار وفهمهم لمناوراته واساليبه ، تنبعث الدعوة قوية الى اتباع سياسة اخرى غير سياسة الاحتجاجات والوسائل السلمية ، فتبدل محاولات للحفاظ على الارض العربية وبناء اقتصاديات البلاد ، ويساهم الشباب بنور واضح في ميدان الحركة الوطنية ، وتنظم الدوريات لمراقبة الشواطئ منعا للهجرة غير القانونية ، وترتفع رايات الكفاح المسلح ضد الاستعمار البريطاني ، وتتشكل في تلك الفترة جماعات سرية نضالية آمنت بالكفاح المسلح طريقا لمكافحة الاستعمار والصهيونية ، وكان أهم تلك الجماعات جماعة الشيخ عز الدين القسام رائد الكفاح المسلح في فلسطين في وجه بريطانيا .

والشيخ عز الدين القسام سوري الاصل ، ولد في بلدة جبلة التابعة لقضاء اللاذقية عام ١٨٧١ ، ونشأ في بيت من بيوت العلم والادب ، وبعد أن درس العلوم الابتدائية أرسله والده الى الأزهر الشريف حيث تلقى عن الإمام الشيخ محمد عبده ، ثم عاد الى بلده بعد سنوات عديدة ، وعكف على التدريس في جامع السلطان ابراهيم بن ادهم ، ولم يكف بنشر العلم بل شارك في حركة الجهاد ، فانضم الى عصبة عمر البيطار ، ثم اشترك مع صالح العلي في ثورته ضد الفرنسيين في شمال سوريا (١٩٢٠ - ١٩٢١) ، وأرسلت اليه السلطة العسكرية رسولا يعد بتوليته القضاء وبذل العطاء له ، فردد الرسول خائبا وحكم عليه الديوان العرفي في اللاذقية بالاعدام . ثم التجأ الى حيفا في الخامس من شهر فبراير ١٩٢٢ واستوطن فيها وتولى التدريس في جامع النصر (ذكرت مصادر قليلة أنه كان ايضا خطيبا لجامع الاستقلال في حيفا) . كما أسس مدرسة ليلية لتعليم الاميين من العرب (١) . وكانت حيفا عندما هبط بها الشيخ القسام سرية النبو في عمرائها ، فهي مرفأ فلسطين الاول واقرب مدنها الى لبنان ودمشق ، وهي بلدة متعددة الاقوام والجنسيات ، وهي قاعدة من قواعد التهويد مما